

## الشيطان كما يصوره القرآن

ما يكاد الرجل البصير يتذكر « الشيطان » أو يسمع اسمه ، حتى يردد بلسانه أو جنانه : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . فأى دافع يدفعنا - مع رضا واختيار - إلى الحديث عن ذلك الشيطان اللعين ؟ !

لا بأس ، فحديثنا عن الشيطان سيكون كما يصوره القرآن ، فإن كان للشيطان وسومة ومهتان ، ففي القرآن عصمة وأمان ، والله خير مستعان .

هناك كلمات ثلاث تتردد في هذا المجال ، هي : الشيطان ، والجن ، وإبليس ، وفي اللغة أن الشيطان هو كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والحيوان . وقال أبو عبيدة إن الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإيس ، والشيطان مخلوق خبيث لا يراه الإنسان ، يغرى بالفساد والشر . وفي الحديث النبوي الذي رواه مسلم في صحيحه : « إن الشيطان يبعث سراياه - جنوده فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » . والشيطان وإبليس والعفريت بمعنى واحد وهو العاتى المتمرد من الجن ، وبذلك يكون الشيطان من الجن ، وقد فرقوا بينهما بأن الجن منه صالح وخبيث ، والشيطان لا يكون إلا خبيثاً ، فكأنه نوع خاص من الجن .

ويروون أن إبليس كان من الملائكة ، فلما عصى الله ، وأبى السجود ، غضب الله عليه ولعنه ، ومسخه شيطاناً رجياً ؛ ويروون أن اسمه قبل العصيان كان « عزازيل » ، ثم صار اسمه « إبليس » . ومن أسمائه « الحارث » ، وكنيته « أبو مرة » . ويصفه القرآن الكريم بقوله : « وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً » (النساء ١١٧) . والمريد هو العاقى المتمرد ، الخارج عن الطاعة ، الظاهر الشر . وقد تكررت مادة « الشيطان » في القرآن ما يقرب من ثمانين مرة .

وقد يطلق على الشيطان اسم « الجان » أو « الجن » . وفي سورة الأنعام جاء قوله تعالى . « وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ » (الأنعام ١٠٠) : أى جعل المشركون لله شركاء هم الجن ، وقد ذكر أهل التفسير أن المراد بالجن الملائكة ، لأن المشركين عبدوا الملائكة ، أو الشياطين ، لأن المشركين أطاعوهم في أمور الشرك والمعاصي ، أو المراد إبليس بالذات ، فقد عبده أقوام وسموه رباً ، ومنهم من سماه : إله الشر .

والظاهر أن الملائكة ليسوا من الجن إلا بالمعنى اللغوي . أى أنهم مستترون ، أو يكون إطلاق كلمة « الجن » على الملائكة إطلاقاً مجازياً ؛ لأن القرآن يقول : « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ » . (سبأ الآيتان ٤٠ - ٤١) .



والقرآن الكريم يحدثنا عن الشيطان والجن وإبليس وجنوده ، فيقرر وجود خلق آخر غير الإنسان ، لا ترى مادته ، ولا نعرف حقيقته ، ومنه الشيطان وقد تكرر ذكره لمعشر الإنس والجن ، وقال فيما قال : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » وهما الإنس والجن ، ويكفر الإنسان إذا أنكر وجود الشيطان أو الجن ، لأن

كتاب الله قد صرح بوجودهم ، ويقرر بصراء المفسرين أن هذه المخلوقات من عالم الغيب ، لا نعلم حقائقها ، ولا نبحت عنها ، ولا نقول بنسبة شيء إليها ، ما لم يرد لنا فيه نص ثابت عن المعصوم رسول الله عليه الصلاة والسلام .  
وهناك كثيرون ينكرون وجود الشياطين والجن ، ويعيب هذا الإنكار أحد بصراء المفسرين بقوله : « أما الذين ينكرون وجود هذا الخلق إطلاقاً فلا أدرى علام ينون هذا الإنكار ، بصيغة الجزم والقطع ، والسخرية من الاعتقاد بوجوده ، وتسميته خرافة .

ألا أنهم عرفوا كل ما في هذا الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها ؟ إن أحداً من العلماء لا يزعم هذا حتى اليوم . وإن في هذه الأرض وحدها من الخلائق الحية لكثيراً مما يكشف وجوده يوماً بعد يوم ، ولم يقل أحد إن سلسلة الكشوف للأحياء في الأرض وقفت ، أو ستقف في يوم من الأيام .

الأهم عرفوا كل القوى المكونة في هذا الكون فلم يجدوا الجن من بينها ؟ إن أحداً لا يدعى هذه الدعوى . فهناك قوى مكونة تكشف كل يوم ، وهي كانت مجهولة بالأمس ، والعلماء جادون في التعرف إلى القوى الكونية ، وهم يعلنون في تواضع قادتهم إليه كشوفهم العلمية ذاتها ، أنهم يقفون على حافة المجهول في هذا الكون ، وأنه لم يكادوا يدون بعد .

ألا أنهم رأوا كل القوى التي استخدموها ، فلم يروا الجن من بينها ؟ ... ولا هذه ، فإنهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصلوا إلى تحطيم الذرة ، ولكن أحداً منهم لم ير الكهرب قط ، وليس في معاملهم من الأجهزة ما يفرزون به كهرباً من هذه الكهارب التي يتحدثون عنها .

فقم إذن هذا الجزم بنى وجود الجن ، ومعلومات البشر عن هذا الكون وقواه وسكانه من الضالة بحيث لا تسمح لإنسان يحترم عقله أن يجزم بشيء ؟

إن القرآن يحدثنا بأن الشيطان مخلوق من النار ، فيقول : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ » .  
( الحجر الآيتان ٢٦ ، ٢٧ ) ويقول : « وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ »  
( الرحمن الآية ١٥ ) ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية  
الذميمة ، وامتنع من السجود لآدم ، وقال قولة السوء : « خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ  
مِنْ طِينٍ » ولذلك يقول القرآن : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا  
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَصَقَّ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » ( الكهف الآية ٥٠ ) .

وعمر الشيطان طويل ممتد ، لأنه يمثل قوة الشر في الكون ، ولأنه ابتلاء  
واختبار ، ولذلك جاء في سورة الأعراف عن الشيطان : « قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ  
يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ، قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ  
الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ  
شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ  
تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ » ( الآيات من ١٤ - ١٨ ) .

وهكذا يظل الشيطان إلى ما قبل البعث والحساب ويظل - كما رويوا -  
إلى النسخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم ، وقد طلب الشيطان أن يظل إلى  
النسخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين ، فأبى الله عليه ذلك .

والشيطان يرى الناس وهم لا يرونه . يقول القرآن : « يَا بَنِي آدَمَ لَا  
يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَاسِمَا لِيُرِيَهُمَا  
سُرَاتِهِمَا ، إِنَّهُ يَرَأَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ  
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » ( الأعراف ٢٧ ) .

والشيطان يحاول أن يستميل كل إنسان إلى الشر ، ولكن الذاكر لله يتأبى

على ذلك ، ولذلك يقول الله جل جلاله للشيطان : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » (الحجر الآية ٤٢) . فكان سيطرة الشيطان تكون على الضعفاء في الإيمان والعقل والعزيمة ، ولذلك حلا لبعض أئمة التفسير أن يشبه الشياطين بالميكروبات ، فذكر أن قرناء السوء من الشياطين كمثل جرائم الأمراض ، حيث تمس كل أحد من الناس ، فمن كان قوى المزاج معتدل المعيشة متقياً لها بما يرشد إليه الطب من النظافة واستعمال المطهرات القاتلة لها فإنها قلما تصيبه ، وإذا أصابته فلا تضره ، بل قد تنفعه بتعويد مزاجه على المقاومة ، ومن كان ضعيف المزاج مسرفاً في المعيشة ، غير متق لها بمثل ما ذكرنا ، فإنها تؤذيه ، ويحدث له بسببها من الأمراض والأدواء ما يكون به على شفا الهلاك أو يكون من الهالكين .

ولكن النفس الزكية التقية المهتدية بالقرآن والسنة ، لا يكاد الشيطان يضلها ، وإذا طاف بها طائف من وسوسته في حال العجلة تذكرت فإذا هي مبصرة محاذرة ، فمثلها في عدم تأثير الوسوسة فيها ، كمثل البدن القوى في عدم استعداده لفتح جرائم الأمراض به ، كما أن النفس الفاسدة العطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الأخلاق ، تكون مستعدة لطاعة الشيطان ، كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الأمراض . ومن الأرواح والأبدان مالمس في منتهى القوة ولا غاية الضعف ، فكل منها يتأثر بقدر استعداده ، وتكون عاقبته السلامة إن كان أقرب إلى الصحة والقوة ، أو الهلاك إن كان بضد ذلك .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى - : « الشيطان جاسم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس » .  
وتحدثت السيدة عائشة فقالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم من

عندى ليلا ، ففرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ( من أثر الغيرة ) فقال : مالك يا عائشة ؟ أغرت ؟

قلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟

فقال : أقد جاءك شيطانك ؟ .

قلت : يا رسول الله ، أعمى شيطان ؟

قال : نعم .

قلت : ومع كل إنسان ؟

قال : نعم .

قلت : ومعك يا رسول الله ؟

قال : نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم ( أى حتى أنجم من شره ) .

والشيطان خبيث مكر ، يحتال بشتى الوسائل وأدق المداخل ليتمكن من الإغواء والإضلال ، ولذلك صورته لنا السنة المطهرة بأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فقد مرَّ اثنان على رسول الله ومعه زوجته صفية ، فأسرعا ، فقال لهما النبي : على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي ( أى زوجتي ) . فقالا : سبحان الله يا رسول الله . فقال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا .

ولذلك وصف القرآن الشيطان بأنه « الوسواس الخناس » والخناس من خنس يخنس إذا توارى واختفى ، وفي ذلك يقول ابن القيم : « فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه ، وبذرفيه أنواع الوسواس التي هي أصل الذنوب كلها ، فإذا ذكر العبد ربه ، واستعاذ به الخنس وانقبض ، كما يخنس الشيء ليتوارى » .

ويرى بعض بصراء المفسرين أن في وصف القرآن للشيطان بوصف

« الخناس » لفظة ذات مغزى ، فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه ، حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس ، ولكنها من جهة أخرى توحى بضعفه أمام من يستيقظ لمكره ، ويحمى مداخل صدره ، فهو إذا ووجه بالذكر خنس واستتر ، وعاد من حيث أتى ، وقبح واختفى ، أو كما قال الحديث السابق في تصويره الدقيق : « فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس » . وهذه اللفظة تقوى قلب الإنسان على مواجهة الشيطان الوسواس ، لأنه خناس ، ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة . ولكنها من ناحية أخرى معركة طويلة لا تنتهى أبداً ، فهو على الدوام قابع خانس ، مترقب للفضلة ، واليقظة لا تغني عن اليقظات ، والحرب سجال إلى يوم القيامة ، كما صورها الكريم في مواضع شتى .

ولقد يصل الإنسان التي درجة يخافه فيها الشيطان ، وذلك كما تحدث النبي عليه الصلاة والسلام إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حيث قال له : « والسدى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً ( طربقاً ) إلا سلك فجاً غير فجك » .

والشيطان - كما نخبرنا القرآن - يُضرب مثلاً في قبح الصورة ، ولذلك قال القرآن عن شجرة الرقوم : « إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رَمُوسٌ الشَّيَاطِينِ » ( الصافات ٦٤ ، ٦٥ ) . والسنة من وراء القرآن الكريم تجعل صورة الشيطان صورة منكرة ، فيروى البخارى قول النبي : « إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً » . وإن أنكر الأصوات لصوت الحمير ، وإن الطيور على أشكالها تقع .

والتأويب - وهو دليل التراخي والكسل - يأتي به الشيطان ، ولذلك يقول الحديث النبوى : « وأما التأويب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم

فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تئاب ضحك منه الشيطان « وإنما يضحك الشيطان إذا شهد من الإنسان مشهداً يعاب ويؤخذ عليه .

والشيطان هو الذى بسبب للمرء الإسراف فى النوم حتى تضع عليه الصلاة . يقول النبي مصوراً ذلك : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هونام - ثلاث عقَد : يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

ولقد ذكروا عند الرسول صلوات الله وسلامه عليه رجلاً نام حتى فاتته صلاة الصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » .

ومن صور الشيطان البغيضة ما جاء فى الحديث : « إذا نودى للصلاة أدير الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قُضى النداء أقبل » . وإنما يقبل للتشكيك والتضليل .



وفى القرآن المجيد سورة تسمى « سورة الجن » ، ومن الجن يخرج الشياطين كما عرفنا ليمثلوا عنصر الشر والفساد ، ويبقى فى الجن صالحون وطالحون ، وهذه السورة تخبرنا بجملة من الحقائق .

أولاً : الجن حقيقة واقعة ، فهى تقول : « قُلْ أوحىَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا » .

ثانياً : منهم المؤمنون الذى يصفون القرآن بأنه « يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » . ومنهم الصالحون والطالحون . « وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا » أى مذاهب متفرقة ، ومنهم المسلمون المهتدون ،

والجاحدون الضالون ، ولكل جزاءه : « وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ (الجاحثون عن طريق الحق) فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » .

ثالثاً : الجن لا ينفعون الناس : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » .

رابعاً : الجن لا يعلمون الغيب : « وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَعَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا » .

خامساً : أنهم لا قدرة لهم أمام قدرة الله وسلطانه : « وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا نِعْمَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَئِن نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ لَنُؤَمِّرَنَّ هَرَبًا » .

• • •

ولعل أبرز قصة للشيطان في القرآن هي قصته مع آدم ، حيث أوى الشيطان أن يسجد لأبي البشر ، واستحق على ذلك التكبر الطرد من الجنة ، ثم عاد فوسوس إلى آدم حتى أكل من الشجرة ومعه حواء ، وترتب على ذلك نزول آدم وحواء من الجنة إلى الدنيا ، ونشأت العداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان .

يقول الله تعالى عن ذلك في سورة الأعراف : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » (الآيتان ١١ ، ١٢) .

ثم قال بعد ذلك بآيات : « وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِمُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ . قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝ (الآيات من ١٩ - ٢٤) .

ولقد حاول الشيطان بسبب عداوته الدفينة للإنسان أن يفسد هو وأتباعه عقائد الناس ، وأن يتدعوا لهم ما لم يشرع الله ولم يأذن به ، ولذلك يقول القرآن في سورة النساء : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَا ضِلَّتْ لَهُمْ وَلَا مِثْلُهمْ وَلَا مَرْتَبٌ لَهُمْ فليستكنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبٌ لَهُمْ فليغيرنَّ خلقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا . يَعْبُدُهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ مَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۝ (الآيات من ١١٦ - ١٢١) .

وبين أهل التفسير معنى هذه الآيات بما خلاصته : إن هؤلاء المشركين لا يدعون لقضاء حوائجهم إلا إناثاً كاللات والعزى ، وهى معبودات عاجزة ، لا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً ، وما يدعون إلا شيطاناً خبيثاً من عادته الإغواء والإضلال ، أخزاه الله وأبعده عن مواطن فضله ورحمته .

وقال الشيطان اللعين : إني مأخوذ من الناس نصيباً مفروضاً معيناً ، وهو ما فى النفوس من استعداد للشر ، ليخدعهم ويضلهم . وقال إنه سيعمل على إضلال الناس وصرفهم عن طريق الحق والهدى ، وسيزين لهم الاستعجال إلى اللذات والشهوات والتسوية والتوبة وبالعمل الصالح ، وسيأمرهم ليقطعوا

آذان بعض الأنعام ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية ، حيث كانوا يشقون آذان بعض الإبل شقاً طويلاً ، ولا يحملون عليها شيئاً ، وهذا من سخف الجاهلية وصفه الوثنية .

وأنه سيأمرهم أيضاً ليغيروا خلق الله بالتشويه والتشيل وقطع الأطراف . ومن يتحد الشيطان ولياً له ، ويتبع وسوسته فقد خسر خسراناً طاهراً في دنياه وأحراه ، لأنه سيصير أسيراً للأوهام والخرافات ، لأن الشيطان يعد الناس بالفقر إذا هم أنفقوا في سبيل الله ، ويمسبهم بالأمانى الكاذبة التي لا ثمرة لها ، وهو لا يعدهم إلا بالباطل الذي يغترون به وينخدعون ، وهؤلاء الذين يتبعون الشيطان ويطيعونه ينتهون إلى نار جهنم لا يجدون عنها مصرفاً يفرون إليه .

• • •

هذا ونستطيع أن نتزع من القرآن مجموعة من صفات الشيطان التي تصور سيئاته ومنكراته ، وهي :

١ - الخديعة ، وتحلى في مخادعة الشيطان لآدم وزوجته حتى دفعهما إلى الأكل من الشجرة المحرمة ، ولذلك يقول القرآن : « فَأَرَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ » (البقرة ٣٦) .

٢ - الوعد بالفقر والأمر بالسوء والفحشاء ، ولذلك يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

• • • الآية الآيتان ١٦٨ - ١٦٩ .

٣- إيقاع العداوة والغضاء : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .  
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُقَعِّبَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْغُضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
وَيُضْذِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ » ( المائدة الآيات  
٩٠ ، ٩١ )

٤- تزيين السوء : « وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » « قَالَ رَبِّ  
يَا أَعْوَبُ إِنِّي لَأرِيبُ لَكَ لَهْمٌ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْوَابِ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِمَادَكَ  
مِمَّنَّ الْمُحَلِّصِينَ » ( الحجر ٣٩ ، ٤٠ ) . « وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَآتِ  
الْفِتْنَانَ كَصَّ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَى مَا لَا تَرَوْنَ  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » ( الأنفال ٤٨ ) .

٥ الإِنْسَاءُ : « وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ » ( الأنعام ٦٨ ) .

٦ الوسوسة ، وأحضرها الوسوسة في العقيدة والإيمان : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ،  
مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ ثَمَرِ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ » ( سورة الناس  
من ١ - ٤ ) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ  
فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟  
فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيَّتِهِ » .

يقول ابن القيم عن الشيطان :

« ومن وسوسته أيضاً أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن  
يفعله ، ولهذا يضاف الشيطان إليه اصافته إلى سبه . قال تعالى حكاية عن  
صاحب موسى أنه قال : إني نسيت الحوت وما أنساياه إلا الشيطان أن أذكره » .

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ولم يقل من شر وسوسته ، لتعم الاستعاذة شره جميعه ، فإن قوله ؛ « من شر الوسواس » يعم كل شر ، ووصفه بأعظم صفاته وأشدّها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً ، وهى الوسوسة التى هى مبادئ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية ، فيوسوس إليه ، ويُخطر الذنب بياله ، فيصوره لنفسه ، ويمنيه ويشبهه ، فيصير شهوة ، ويزينها له ويحسنها ويحيلها له فى خيال تميل نفسه إليه ، فيصير إرادة ، ثم لا يزال يمثّل ويحيل ويمنى وينسى علمه بضررها ، ويطوى عنه سوء عاقبتها ، فيحول بيه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاده بها فقط ، وينسى ما وراء ذلك ، فتصير الإرادة عزيمة جارفة ، فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الحود فى الطلب ، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً ، فإن فتروا جرهم ، وإن وبوا أزعجهم ، كما قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا » ( مريم ٨٣ ) أى تزعجهم إلى المعاصى إزعاجاً ، كلما فتروا أو وبوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم . فلا تزال بالبعد تقوده إلى الذنب ، وتنظم شمل الاجتماع بالطف حيلة وأتم مكيدة .

٧ - المس : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ » ( الأعراف ٢٠١ ) .

٨ لا استهواء وهو الإصلاص : « كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ » ( الأنعام ٧١ ) . ويريد الشيطان أن يُصلِّه صلاباً بعيداً ( النساء ٦٠ )

٩ - الإباء والاستكمار والكفر : « إِلَّا إِبْلِيسَ اتَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِّنَ الْكَافِرِينَ » ( البقرة ٣٤ ) .

١٠ عداوته العميقة للإنسان : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (فاطر الآية ٦) .

• • •

ولهذه السيئات والمقايح والمماكر وغيرها المتجمعة في الشيطان اللعين كان من الواجب على الإنسان أن يستعيد منه بالله جل جلاله القاتل : « وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (الأعراف ٢٠٠) . أى إذا حاول الشيطان أن يبدأ معك الوسوسة فالجأ إلى الله ، وتحصن به ليصونك منه . والقتال : « وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ » (سورة المؤمنون الآيتان ٩٧ ، ٩٨) . أى أعتمص بك يارب من صوستهم ، وأن يحضرونى في أمورى ، لأنهم لا يحضرون إلا بالبشر والسوء .

والسمة المطهرة تدلنا على أن عبارة الاستعادة ، هى أن يقول الإنسان بلسانه وحنانه في إخلاص ورجاء ، « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقد استب رجلان ، فاحمر وجه أحدهما وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ، ذهب عنه ما يجد . »

والقرآن يرشد الإنسان إلى أن يقول في الاستعادة : « أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ » .

وبعض الأئمة يتوسع فيوجه إلى الطريقة التي يعتصم بها العبد من الشيطان ويحترق من شره ، فيذكر الأمور التالية :

- ١ - الاستعاذة بالله .
  - ٢ - قراءة سورة الفلق والناس .
  - ٣ - قراءة آية الكرسي .
  - ٤ - قراءة سورة البقرة ، وخاتمها وهي : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ، إلى نهايتها .
  - ٥ - قراءة سورة المؤمن من بدايتها حتى قوله تعالى : « لا إله إلا هو إليه المصير »
  - ٦ - أن يقول مائة مرة . لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك والحمد ، وهو على كل شيء قدير .
  - ٧ - كثرة ذكر الله عز وجل .
  - ٨ - الوضوء والصلاة .
  - ٩ - إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس .
- وأرى أنه لا موجب لهذا التوسع ، والعمدة على الإخلاص وصدق الرجاء .

• • •

والقرآن يحذر الإنسان أن يصحب الشيطان ، لأن العاقبة لذلك هي الخسران ، ولذلك يقول القرآن : « وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا » ( النساء الآية ٣٨ ) . ويقول : « وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا » ، ( سورة النساء ١١٩ ) ويقول : « وكان الشيطان للإنسان خذولاً » ( الفرقان الآية ٢٩ ) . ويقول : « ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » ( المجادلة الآية ١٩ ) .

وحذر القرآن الإنسان أن يتبع خطوات الشيطان ، وهي كل أمر يخالف سبيل الحق والخير فقال : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ( البقرة الآية ١٦٨ ) . وكرر هذا المعنى في عدة آيات .



أما بعد ، فقد طال مدى الحديث ، وجاوز نطاقه ، وما زال حديث  
الشیطان اللعين ذا شُعب وشجون ، فلنقف عندما كان ، ولنكتف بما سبق ،  
ولتحصن بحصن الله ضد الوسواس الخناس ، ولنقل عند النهاية ما قلناه  
عند البداية : نعوذ بالله العلی العظیم من الشیطان الرجیم .  
وقل : سلام .